الانوار

السبت ٢٤ تشرين الأول ١٩٩٢

قضايا ثقافية

تحول وارتقاء

رفعت رأسي الى السماء، وافلاكها، رأيتها تتبدل... نظرت حولي فعاينت الارض وتضاريسها، فشاهدتها تتغير... تأملت في الطبيعة فعلمت انها تتحول، فصرح سؤال في البال، ينبلج منه الف سؤال.

ما سر هذا الاتقان من قبل رب الاكوان؟

اجبت: انه الارتقاء نحو الانعتاق.

السماء بنجومها وافلاكها، تتمحور في فضاء فلكها فهل دورانها عبثي؟! والارض في تضاريسها تغير معالم، تارة تخفي جبالا وطورا تظهر وديانا بارزة ما في داخلها، خاف ما على سطحها.

فهل لهذه التغيرات علاقة بالافلاك او بالانسان؟

والطبيعة بمواسمها وفصولها، بموتها وحياتها من جديد تتبدل، فهل له سر دائري يتمحور في حياة الارض؟!

فلا يتخلف نجم او كوكب عن محوره، ولا تسقط نجمة من موقعها، ولا تستعذر الشمس يوما عن طلوعها.

وبعد كل تغير ننظر بعين مجردة.. نرى في الارض انه لا بد ان يحصل ما حصل، من تغير في التركيبة الجيولوجية... تظهر ارض وتختفي اخرى، وبعد كل بركان، تصبح الارض اكثر خصوبة... ما سر هذا الاتقان في النظام؟!

لو لم تكن هذه الدقة لقلنا انها صدفة... ولكن لا وجود للصدفة مع النظام هذا في منظارنا الارضي... فكيف اذا ارتفعنا بالوعي اكثر نحو الفكر الاسمى ونظرنا بشمولية... والمعرفة الاكبر نستشفها من كوننا المصغر وهو الانسان بحد ذاته... نظام دقيق... تقنية عالية... وشمولية في التكوين فهو يحوي كل شيء.

نعم شمولية التكوين حيث كل ما يتبدل ويتغير ويتحول هو من تأثير الانسان، ومن اجل الانسان وتطوره.

ولكن اين نحن من معرفة انفسنا... وفي فهم ما حولنا والتعلم من دروس الافلاك وعطاء الارض وتحول الطبيعة.

لقد توج الانسان عليك على كل شيء... فلا احد ينافسه في ملكيته، ولكن ماذا يملك من نفسه.

هل نحن مسيرون ام مخيرون؟

ان الانسان مسير بما يجهل ومخير بما يعلم الى ان يعي...

اما الكيان فيبقى شابا مهما عجز الجسد، واعمار الناس تخط في مفرق انتظار... خطا ابيض، يدعونه الشيب، ولكني ادعوه بالدرب درب النور الذي خط في ظلمة الضياع.

منذ ما شر والانسان... راح يبحث خارج كيانه ليحقق ذاته، فبعد كل البعد عن ما جاء لاجله... ولكن هلا تسألنا في بعدنا عن نفسنا، عن ما تعلمنا ايها الطبيعة، وتؤثره الكواكب علينا، حتى الموسيقى ما مصدرها ولماذا تؤثر فينا؟

نعم ان الموسيقى هي صوت الافلاك، وما تمثله النوتة الموسيقية السبع سوى رمز الكواكب السبع التي تدور في فلكنا الشمسي، وهي متمثلة في جسر الانسان بالغدد الروحية المقابلة للغدد الصماء السبع.

وما الموسيقى سوى حركة الافلاك العالية!

هلا تسألنا من اين جاء «بتهوفن» بالسمفونيات الثلاث الاخيرة وهو اهم لو لم يكن سمعه الباطني على اتصال بدوران الافلاك وسمع الانغام التي تصدر عنها فجسدها في سلمنا الموسيقي.

الم يلفت نظرنا بعمق ما في الطبيعة من تعاقب للفصول وموت الطبيعة وحياتها من جديد، الا يدل هذا على عمر الانسان في تدرجه، وتعاقب الطفولة والشباب والكهولة، ثم الموت، ليعود من جديد، دورة تعقب دورة وحياة تعقب حياة... الا نعلم ان موت البذرة في الارض هو ما ينبت شجرة تحمل ثمارا وفي قلب الثمار تهجع البذرة من جديد.

لقد رأينا النبتة حين اينعت ولكن لم نر معاناة البذرة تحت التربة، وما الذي يعمل في الظلام ليظهر لنا هذا الجمال.

الا نراقب الشمس تغيب، وتشرق، ثم تشرق وتغيب، دلالة على الاعمار المتعاقبة... جاذبة حولها كل هذه المجموعة من الكواكب والنجوم والتوابع... فهي تشرق على الصالح والطالح، على الانسان والحيوان، على النبات والجماد... فهي مثل امام اعيننا يعلمنا العطاء بسمو... ورحابة صدر.

ولكن ما يعلمه القلة ان الانسان هو لولب الحركة الكونية... فهو يستمد من الشمس ويعطي الارض، عاكسا ما بداخله... ويأخذ من الارض ويعطي الشمس حق الاستمرارية والبقاء... فلولا وجود الانسان ليس للشمس من ذريعة للبقاء... ولولا هدف الانسان ما وجدت الارض اصلا... فما هي الا مدرسة وجدت لتطوره... ولن تدمر المدرسة ولا يحق لاي قوة العبث بها الا موجدها وستبقى الى ان ينتهي آخر تلميذ نهجه والدرب الذي خط له... والذي جاء من اجله الا وهو التطور في الوعي.

حين نعلم ان الانسان من يؤثر على الارض وتضاريسها وطبيعتها وليست هي من يؤثر على الانسان... نسعى بكل ما اوتينا من حماسة، وقوة، وسعي، ننطلق بكل جدية لازالة العراقيل التي تقف في طريق مسيرة الانسانية.

كل شيء مكون من ذبذبات حتى الفكرة ذبذبة... وجسد الانسان مكون من ذبذبات مكثفة... وفعل تراكم الذبذبات هو ما يؤثر بما حولنا من الذرة الى ابعد ما في الكون.

تعمقت في الانسان اكثر فألفته هو من يطور ويتطور... لانه الوحيد الذي يحوي العقل والروح والارادة.

وفعل ادارة الانسان هي ما ترقيا بالوعي، وتؤثر على جميع من حوله وما حوله... ولكن الهدف ما هو الهدف؟!

يبقى الهدف ارتقاء الانسان نحو الافضل والاكمل والاشمل... وانا على يقين ان من سعى نحو هدفه... وجعل هدفه من مشيئة قدره اختصر نصف الطريق ويبقى الهدف هو الانعتاق ولكن اين نحن من نقطة الدائرة التي هي قمة المعرفة.

هلا اختصرت الطريق ايها الانسان؟!

دنيز منصور